(الشواهد القرآنية عند أبي علي الفارسي)
(آيات سورة: آل عمران نموذجًا من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٨١))

الدكتور وليد محمد صالح أحمد
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
بجامعة المدينة العالمية

ملخص البحث:

هذا البحث يبحث في الشواهد القرآنية عند أبي علي الفارسي.

جمع ووصف للشواهد القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتب المسائل (المسائل البغداديات- المسائل العسكريات- المسائل البصريات- المسائل الحلبيات- المسائل الشيرازيات- المسائل العضديات- المسائل المنثورة)، ومن خلال أراءه التي نقلها عنه السمين الحلبي في كتاب الدر المصون آيات سورة آل عمران نموذجا من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٨١).

الكلمات الدلالية للبحث:

الفارسي - الم – ورضوان – الدِّينَ - الإسلام – بَغْيًا - مَالِكَ الْمُلْكِ – تُقَاةً – سَمَّيْتُهَا – وَكَفَّلَهَا – يُلْقُون – مريم – وَيُعَلِّمُهُ - كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ - أَنصَارِي.

مشكلة البحث:

البحث في موقف أبي علي الفارسي من الأصل الأول من أصول التقعيد اللغوي (القرآن الكريم) من خلال كتب المسائل وآراء وموقف أبي علي الفارسي من آيات سورة آل عمران من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٨١) كما أوردها السمين الحلبي في الدر المصون.

أهمية البحث:

هي: توضيح موقف أبي علي الفارسي من الأصل الأول من أصول التقعيد النحوي، وإلقاء الضوء على استخدام أبي علي الفارسي للشواهد القرآنية.

أسئلة البحث:

١-ما موقف أبي علي الفارسي من الأصل الأول من أصول التقعيد النحوي؟

٢-كيف استخدم أبو علي الفارسي الشواهد القرآنية في كتب المسائل؟

٣-هل اقتصر أبو علي الفارسي في كتب المسائل على الاستشهاد فقط، أم الاستئناس فقط، أم توجيه الآيات والقراءات القرآنية فقط، أم التفسير فقط، أم الإعراب فقط؟

٤-ما آراء وموقف أبي علي الفارسي من آيات سورة آل عمران كما أوردها السمين الحلبي في الدر المصون؟

أهداف البحث

-توضيح موقف أبي علي الفارسي من الأصل الأول من أصول التقعيد النحوي.

-إلقاء الضوء على استخدام أبي علي الفارسي الشواهد القرآنية في كتب المسائل.

-جمع ووصف للشواهد القرآنية من آيات سورة آل عمران في كتب المسائل.

-جمع ووصف للشواهد القرآنية من آيات سورة آل عمران كما أوردها السمين الحلبي في الدر المصون.

منهج البحث:

هو المنهج الإحصائي الوصفي لآيات سورة آل عمران التي جاءت في كتب المسائل، واستخدام أبي علي الفارسي لهذه الآيات الكريمة من آيات سورة آل عمران من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٨١) في كتب المسائل، وآراء وموقف أبي علي الفارسي من آيات سورة آل عمران من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٨١) كما أوردها السمين الحلبي في الدر المصون.

الدراسات السابقة وأهم النتائج والتوصيات:

- أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو للأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح شلبي.

- آراء أبي علي الفارسي النحوية في ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ـــ ماجستير ـــ سعيد محمد مغازي ـــ كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ـــ القاهرة.

- استدراكات ابن جني على أبي علي الفارسي ـــ ماجستير ـــ إعداد خالد عباس محمد ـــ كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

- التأثير النحوي لأبي على الفارسي على أبي الفتح بن جني ـــ ماجستير ـــ إعداد شاكر محمد الصراوي ـــ كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

- تعدد التوجيه النحوي في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ـــ دكتوراه ـــ هدى حسن نجيب ـــ كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

- توجيهات القضايا النحوية في كتاب الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ـــ دكتوراه ـــ هالة محمد السيد زهران ـــ كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات جامعة الأزهر.

- مسائل أبي علي الفارسي بين التفسير والقاعدة ـــ دكتوراه ـــ إعداد هناء محمد جنيدي ـــ كلية الألسن جامعة عين شمس.

– منهج أبى على الفارسي في كتاب الحجة – دكتوراه – إعداد عادل علي منصور الصراف – كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

– النحو – مفاهيمه وقضاياه ومشكلاته بين الرماني والفارسي – دكتوراه – إعداد محمد محمود عبد القادر علي – كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

– مسائل أبي علي الفارسي النحوية دراسة في المنهج والمصادر – دكتوراه – إعداد وليد محمد صالح أحمد – كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

أهم النتائج:

نتائج البحث:

المطلب الأول: من الآية رقم (١): (٥٢):

قام صاحب (الدر) بنقل توجيه الفارسي للآية رقم ١ قوله تعالى (الم)، وللآيات رقم ١٩، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩.

قام الفارسي بالاستشهاد بالآية رقم ١٥.

المطلب الثاني: من الآية رقم: ٥٢: ٨١.

قام صاحب (الدر) بنقل توجيه الفارسي للآيات رقم ٥٢، ٥٩، ٦٦، ٧١، ٧٣، ٨٠، ٨١.

قام الفارسي بالاستشهاد بالآية رقم ٧٥.

التوصيات: يوصي صاحب البحث بالاهتمام بآراء الفارسي في الآيات القرآنية، فقد انفرد بآراء في إعراب الآيات القرآنية لم يسبقه إليها غيره، وقد استشهد معظم المعربين للقرآن الكريم الذين جاءوا بعد الفارسي بآرائه، كالسمين الحلبي في (الدر المصون).

المقدمة

يعد أبو علي الفارسي من أئمة النحو العربي، برع في النحو وعرف به، وقصده الناس من الأقطار، وعلت منزلته في العربية، فكان شيخ العربية في عصره بلا منازع، وعرف قدره فكان يقال: لم يكن بين أبي علي وسيبويه أحد أبصر بالنحو منه، ولشهرته بالنحو ونبوغه فيه أصبح علمًا عليه، فكان يقال: أبو على النحوي، لقد كان الفارسي في المائة الرابعة وبين علمائها، كما كان سيبويه في المائة الثانية وبين علمائها مثلًا عاليًا للأستاذية العاملة المنتجة، والغزارة العلمية الدافقة، والقدرة الذهنية الفائقة على التبويب والتصنيف. وكان كلاهما كذلك حلقة وضاءة باهرة في سلسلة الثقافة العربية الخالدة وصلت الخلف بالسلف وحملت علم الأولين إلى الآخرين.

والراجح في ميلاد أبي علي أنه كان عام ٢٨٨ هـ و توفى عام ٣٧٧ هـ.[١]

هو أبو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي.

ولعل أول من أذاع نسب أبي علي الفارسي تلميذه أبو الحسن علي بن عيسى الربعي.[٢] وتعتمد كتب التراجم على الربعي في ذلك على اختلاف يسير بينها زيادة و نقصًا في سلسلة هذه النسبة.

وأبو علي فارسي الأب، أما أمه، فهي سَدوسية من سَدوس (بفتح السين) شيبان، وشيبان من بكر، و بكر من بني وائل، ووائل من جديلة، وهذه من أسد وأسد من ربيعة الفرس، وربيعة الفرس من نزار بن معد بن عدنان.[٣]

(١) وفيات الأعيان ٣٦٣/١ عقد الجمان للعيني القسم الثالث ص٤٠٠ عيون التاريخ للكتبي ص٢٠، شذرات الذهب ٨٨/٣.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١، ٣٦١ و معجم الأدباء ٢٣٢/٧.

(٣) معجم الأدباء ٢٣٣/٧ و جمهرة أنساب العرب ٢٧٥- ٣٠٨.

و أبو علي ينسب إلي (فسا)، وهي المدينة التي ولد بها فيقال: الفسوي.[1]

وقد أثرى أبو علي الفارسي المكتبة بكثير من المؤلفات جليلة القدر عظيمة الفائدة، إلا أن أكثر تلك المؤلفات لم يصل إلينا، بل أتت عليه الأيام فلم يصلنا منه إلا القليل.

وقد صدر الفارسي كثيرًا من تلك المؤلفات بكلمة المسائل موصوفة بكلمة منسوبة إلى المكان الذى ألفت فيه، أو منسوبة لمن ألفت له، أو موصوفة بما تضمنه الكتاب من موضوعات، ووصل إلينا بعض تلك المسائل، وضاع بعض آخر، فمما لم يصل إلينا من تلك المصنفات المسائل الدمشقية، والمسائل المجلسيات والمسائل الذهبيات، أما ما وصل إلينا منها فهو ما يلى:

١- المسائل البغداديات.
٢- المسائل العسكريات.
٣- المسائل البصريات.
٤- المسائل الحلبيات.
٥- المسائل الشيرازيات.
٦- المسائل العضديات.
٧- المسائل المنثورة.

ومن مؤلفاته التي لم تصل إلينا: تفسير أبي علي.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (٢)

ويقال: إن لأبي علي كتابًا في إعراب القرآن مفقود.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، وقد كانت رسالتي في الدكتوراه مسائل أبي علي الفارسي النحوية دراسة في المنهج والمصادر، وقد رأيت أثناء عملي في الدكتوراه في كتب المسائل لأبي علي كم الآيات القرآنية التي كان يذكرها في كتب المسائل، والتي كان يتراوح موقفه فيها بين الاستشهاد والاستئناس والتوجيه والإعراب والتفسير؛ فجاءتني فكرة أن أجمع هذه الآيات المتفرقة في كتب المسائل، وقلت: إن كتاب إعراب القرآن المفقود لأبي علي الفارسي لن تخرج مادته عن هذه الآيات التي كان يذكرها في مسائله

(١) طبقات الزبيدي: ١٣٠.
(٢) المائدة ٦.

المتفرقة التي كان يلقيها ببغداد والبصرة وشيراز وعسكر مكرم وحلب، فقلت: أجمع هذه الآيات لتكون كتابًا لإعراب القرآن الكريم للفارسي، ككتاب (إعراب القرآن) للعكبري، وعندما كنت أوثّق القراءات القرآنية من الكتب الكبرى كـــ (تفسير البحر المحيط) وكتاب (الدر المصون) للسمين الحلبي؛ وجدت أن صاحب (الدر المصون) قد اعتمد كثيرًا على أبي علي الفارسي في كل كتابه، وقد ذكر لأبي علي آراءً لم أجدها في كتب المسائل، بل إن صاحب الدر يقول: (قال أبو علي في الحلبيات)، وعندما أذهب للنسخة المطبوعة بين أيدينا للحلبيات لا أجد هذا الكلام؛ فضممت كل ما ذكره السمين الحلبي عن الفارسي في كتابه (الدر المصون) ليكون كتابًا لإعراب القرآن الكريم، أو تفسير أبي علي للقرآن الكريم محاولًا بفضل الله تعالى وكرمه ومنّه أن نضيف كتابًا جديدًا للمكتبة العربية، وقد علمنا علماؤنا ومشايخنا الأجلاء في دار العلوم أنه يعد من الأعمال العلمية أن تجمع متفرقًا في كتابٍ أو تختصر كتابًا مطولًا -كما فعل السمين الحلبي في (الدر المصون) حين اختصر فيه كتاب (البحر المحيط) لأبي حيان- سائلًا الله -عز وجل- السداد والتوفيق والنجاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

ويتحدث هذا البحث الذي يتكون من مبحث واحد ومطلبين عن آيات سورة آل عمران من الآية: رقم (١) إلى الآية رقم (٨١)

المطلب الأول من آية: (١): (٥٢).

المطلب الثاني: من الآية رقم: ٥٢: ٨١.

المطلب الأول

سورة: آل عمران من الآية رقم (١): (٥٢)

في توجيه قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ [١]

قال صاحب الدر المصون: (وقرأ عمرو بن عبيد فيما نَقَل الزمخشري، والرؤاسي فيما نَقَل ابن عطية، وأبو حيوة: "الم اللهِ" بكسرِ الميم، قال الزمخشري: "وما هي بمقبولةٍ" والعجبُ منه كيف تَجرَّأَ على عمرو بن عبيد وهو عندَه معروفُ المنزلة، ، وكأنه يريد "وما هي مقبولةً عنه"؛ أي: لم تَصِحَّ عنه؟، وكأن الأخفش لم يَطَّلِعَ على أنها قراءةً، فقال: "لو كُسِرَتْ الميمُ لالتقاءِ الساكنين فقيل: "الم اللهِ" لجاز".

قال الزجاج: "وهذا غلطٌ من أبي الحسن، لأنَّ قبلَ الميمِ ياءً مكسورًا ما قبلها فحقُّها الفتحُ لالتقاءِ الساكنين لِثقَل الكسرِ مع الياء، وهذا وإنْ كان كما قاله، إلاَّ أنَّ **الفارسيّ** انتصر لأبي الحسن، وردَّ على أبي إسحاق رَدَه فقال: "كسرُ الميمِ لو وَرَدَ بذلك سماعُ لم يَدْفَعْه قياسٌ، بل كان يُثْبته ويُقَوِّه لأنَّ الأَصلَ في التحريكِ لالتقاءِ الساكنين الكسرُ، وإنما يُبْدَلُ إلى غير ذلك لما يَعْرِضُ من علةٍ وكراهةٍ، فإذا جاء الشيء على بابه فلا وجه لردِّه ولا مساغَ لدَفْعِه، وقولُ أبي إسحاق: "إنَّ ما قبلَ الميم ياءٌ مكسورٌ ما قبلها فَحقُّها الفتحُ" منقوضٌ بقولِهم "جَيْرِ" و "كان من الأمر ذَيْتِ وذِيْتِ وكَيْتِ وكِيْتِ" فَحُرِّك الساكنُ بعد الياءِ بالكسرِ، كما حُرِّكَ بعدَها بالفتحِ في "أَيْنَ"، وكما جاز الفتحُ بعد الياء في قولهم: "أَيْنَ" كذلك يجوز الكسرُ بعدها كقولهم "جَيْر"، ويدلُّ على جوازِ التحريكِ لالتقاءِ الساكنين بالكسرِ فيما كان قبله ياءٌ جوازُ تحريكه بالضم، نحو قولِهم: حيثُ، وإذا جازَ الضمُّ كان الكسرُ أجوزَ وأسهلَ).[٢]

(١) سورة آل عمران آية: (١).
(٢) الدر المصون: ٢/٧.

الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (١)

وقد استشهد به في العضديات في الموضع التالي:

(وأما قوله تعالى ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ (٢)

فالقياس "مرضو" مثل "مغزو" لأن مرضوا من الرضوان، وفي التنزيل ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ولكن "مرضيًّا" على قولهم "مسنية" لأنهم قالوا: يسنوها المطر، وقالوا: أرض مسنية، والقياس الواو مسنوة... ويقال: عتا عتوًّا، وفي التنزيل: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٣) وفي موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (٤) حمزة والكسائي وحفص بالكسر والضم قراءة الباقين. (٥)

توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٦)

قال صاحب (الدر المصون): قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: قرأ الكسائي بفتحِ الهمزةِ والباقون بكسرِها، فأمَّا قراءةُ الجماعَةِ فعلى الاستئنافِ، وهي مؤكدةٌ للجملة الأولى: قال الزمخشري: "فإنْ قلت: ما فائدةُ هذا التوكيدِ؟ قلتْ: فائدتُهُ أنَّ قولَه: "لا إله إلا الله" توحيدٌ، وقولَه: "قائمًا بالقِسْطِ" تعديلٌ، فإذا أَردْفه قولَه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدلُ والتوحيد، وهو الدينُ عند الله، وما عداه فليس

(١) آل عمران آية: ١٥ ﴿قُلْ أُؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ والتوبة آية: ٧٢ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٢) سورة مريم: (٥٥)

(٣) الفرقان: ٢١.

(٤) مريم: ٨.

(٥) العضديات ص٢٤٩ ص٢٥٠.

(٦) آل عمران ١٩.

في شيء من الدين عنده".

وأمَّا قراءةُ الكسائي ففيها أوجهٌ، أحدُها: أنها بدلٌ من "أنه لا إله إلا هو" على قراءةِ الجمهور في: "أنه لا إله إلا هو" وفيه وجهان، أحدهما: أنه من بدلِ الشيءِ من الشيء، وذلك أنَّ الدين الذي هو الإسلام يتضمَّنُ العدْلَ والتوحيدَ وهو في المعنى، والثاني: أنه بدلُ اشتمالٍ لأنَّ الإسلامَ يشتمِلُ على التوحيد والعَدْلِ.

الثاني من الأوجه السابقة: أن يكونَ "أنَّ الدين" بدلًا من قوله "قائم بالقسط" ثم لك اعتباران، أحدُهما: أَنْ تَجْعَله بدلًا من لفظِهِ؛ فيكونُ محلُّ "أنَّ الدين" الجرَّ". والثاني: أن تجعلَه بدلًا مِنْ مَوْضِعِه فيكونُ محلُّها نصبًا، وهذا الثاني لا حاجةَ إليه إن كان أبو البقاء ذكره، وإنما صَحَّ البدلُ في المعنى؛ لأنَّ الدينَ الذي هو الإسلامُ قِسْطٌ وعَدْلٌ، فيكونُ أيضًا من بدلِ الشيءِ من الشيء، وهما لعينٍ واحدةٍ. ويجوزُ أَنْ يكونَ بدلَ اشتمال؛ لأنَّ الدينَ مشتملٌ على القسطِ وهو العدلُ، وهذه التخاريجُ **لأبي علي الفارسي**، وتَبِعَهُ الزمخشري في بَعْضِها، قال الشيخ: "وأبو علي معتزلي فلذلِكَ يشتمل كلامُه على لفظِ المعتزلةِ من العدلِ والتوحيد" قلت: ومَنْ يرغَبُ عن التوحيدِ والعدلِ من أهلِ السنةِ حتى يَخُصَّ به المعتزلَة؟ وإنما رأى في كلامِ الزمخشري هذه الألفاظَ كثيرًا، وهو عنده معتزليٌّ، فَمَن تَكَلَّم بالتوحيدِ والعَدْلِ كان عنده معتزليًا.

ثم قال: "وعلى البدل من "أنه" خَرَّجه هو وغيرُه، وليس بجيد؛ لأنه يُؤَدِّي إلى تركيبٍ بعيدٍ أَنْ يأتيَ مثلُه في كلامِ العربِ، وهو: "عَرَف زيدٌ أنه لا شجاعَ إلا هو ببني دارم ملاقيًا للحروب لا شجاع إلا هو البطل الحامي أنَّ الخَصْلَةَ الحميدةَ هي البسالةُ" وتقريبُ هذا المثال: "ضرب زيدٌ عائشةً والعُمَران حَنِقًا أختَك" فَحَنِقًا حالٌ من زيد، وأختَك بدلٌ من عائشةً، ففصل بين البدلِ والمبدلِ منه بالعطفِ، وهو لا يجوزُ، وبالحالِ لغيرِ المُبْدَلِ منه، وهو لا يجوزُ؛ لأنه فُصِلَ بأجنبي بين المُبْدَلِ منه والبدل" انتهى.

قوله: "عرف زيد" هو نظيرُ: "شهد الله" وقوله: "أنه لا شجاع إلا هو "نظير" أنه لا إله إلا هو"، وقوله: "بنو دارم" نظير قوله: "والملائكة"، وقوله: "ملاقيًا للحروب" نظيرُ

قوله: قائمًا بالقسط، وقوله: "لا شجاع إلا هو" نظير قوله: "لا إله إلا هو" فجاء به مكررًا كما في الآية، وقوله: البطل الحامي" نظيرُ قولهِ: "العزيز الحكيم"، وقوله: "أن الخصلة الحميدة هي البسالة" نظيرُ قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ولا يَظْهَرُ لي مَنْعُ ذلك، ولا عَدَمُ صحةِ تركيبه حتى يقول: "ليس بجيد" وبعيد أن يأتي عن العرب مثله"، وما ادَّعاه بقولِهِ في المثال الثاني: أنَّ فيه الفصلَ بأجنبي فيه نظرٌ؛ إذ هذه الجملُ صارَتْ كلُّها كالجملة الواحدة لِمَا اشتملت عليه من تقويةِ كلماتٍ بعضِها ببعضٍ، **وأبو عليّ** وأبو القاسم وغيرُهُما لم يكونوا في محلٍّ مَنْ يَجْهَلُ صحةَ تركيبِ بعضِ الكلامِ وفسادِهِ.

ثم قال الشيخ: "قال الزمخشري: وقُرئا مفتوحين على أنَّ الثاني بدلٌ من الأول كأنه قيل: شَهِدَ الله بأنَّ الدينَ عند الله الإسلامُ، والبدلُ هو المبدلُ منه في المعنى، فكانَ بيانًا صريحًا لأنَّ دينَ الإسلام هو التوحيدُ والعدلُ"، قال: "فهذا نَقْلُ كلامِ **أبي عليّ** دونَ استيفاءٍ".

الثالث من الأوجه: أَنْ يكونَ "أنَّ الدينَ" معطوفًا على "أنه لا إلاه إلا هو"، حُذِفَ منه حرفُ العطفِ، قاله ابن جرير، وضَعَّفَهُ ابنُ عطيَّة، و لم يبيِّن وجهَ ضَعْفِهِ.

قال الشيخ: "وَجْهُ ضَعفِهِ أنه متنافِرُ التركيب مع إضمارِ حرفِ العطفِ، فَيُفْصَلُ بين المتعاطِفَيْنِ المرفوعَيْن بالمنصوبِ المفعولِ، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوعِ وبجملتي الاعتراضِ، وصار في التركيبِ نظيرَ قولِك: "أكل زيدٌ خبزًا وعمروُ سمكًا" يعني فَفَصْلتَ بين "زيد" وبين "عمرو" بـــ "خبزًا"، وفصلْتَ بين "خبزًا" وبين "سمكًا" بعمرٍو، إذ الأصلُ قبل الفصل: "أكل زيدٌ وعمر خبزًا وسمكًا".

الرابعُ: أَنْ يكونَ معمولًا لقولِهِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي: شَهِدَ الله بأنَّ الدينَ، فلمَّا حُذِفَ الحرفُ جازَ أَنْ يَحْكُمَ على موضِعِه بالنصب أو بالجرِّ، فإنْ قلت: إنما يتجهُ هذا التخريجُ على قراءةِ ابن عباس، وهي كسرُ إنَّ الأولى، وتكون حينئذٍ الجملةُ اعتراضًا بين "شَهِدَ" وبين معمولِهِ كما قَدَّمْتُهُ، وأمَّا على قراءةِ فَتْحِ "أنَّ" الأولى، وهي قراءةُ العامة فلا

يَتَجهُ ما ذكرْتُهُ من التخريج؛ لأن الأولى معمولةٌ له استَغْنَى بها، فالجوابُ: أنَّ ذلك متجهٌ أيضًا مع فتحِ الأولى وهو أَنْ تَجْعَلَ الأولى على حَذْفِ لامِ العلة، تقديرُهُ: شهد الله أنَّ الدين عندَ اللهِ الإسلامُ لأنه لا إله إلا هو، وكان يَحِيك في نفسي هذا التخريجُ مدةً، و لم أَرَهم ذكروه حتى رأيتُ الواحديَّ ذَكَرَه، وقال: "وهذا معنى قول الفراء؛ حيث يقولُ في الاحتجاجِ للكسائي: "إنْ شِئْتَ جَعَلْتَ "أنه" على الشرطِ، وجَعَلْتَ الشهادةَ واقعةً على قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وتكونُ "أنَّ" الأولى يصلُح فيه الخَفْضُ كقولِك: "شهد اللهُ لوحدانيتِهِ أنَّ الدينَ عن اللهِ الإسلامُ". وهو كلامٌ مُشْكِلٌ في نفسِهِ، ومعنى قولِهِ: "على الشرط" أي: العلة، سَمَّى العلةَ شرطًا لأنَّ المشروطَ متوقفٌ عليه كتوقُّفِ المعلولِ على علتِهِ، فهو علَّةٌ، إلا أنه خلافُ اصطلاحِ النحويين.

ثم اعترَضَ الواحديُّ على هذا التخريجِ بأنه لو كانَ كذلك لم يَحْسُنْ إعادةُ اسمِ الله ولكانَ التركيبُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، لأن الاسمَ قد سَبَقَ فالوجهُ الكنايةُ، ثم أجاب بأنَّ العربَ ربما أعادت الاسمَ موضعَ الكناية وأنشد:

لا أَرَى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ * نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا[1]

يعني أنه من بابِ إيقاعِ الظاهرِ موقعَ المضمرِ، ويزيدُهُ هنا حُسْنًا أنه في موضعِ تعظيمٍ وتفخيمٍ.

الخامس: أَنْ تكونَ على حَذْفِ حرفِ الجر معمولةً لِلَفْظِ "الحكيم" كأنه قيل: الحكيم بأن، أي: الحاكم بأن، فحكيم مثالُ مبالغةُ مُحَوَّلٌ من فاعِل، فهو كالعليم والبصير، أي: المبالِغُ في هذه الأوصاف، وإنما عَدَلَ عن لفظ "حاكم" إلى "حكيم" مع زيادةِ المبالغة لموافقةِ العزيز، ومعنى المبالغةِ تكرارُ حكمهِ بالنسبة إلى الشرائع أنَّ الدين عند الله هو الإسلام، أو حَكَمَ في كلِّ شريعة بذلك. وهذا الوجهُ ذكره الشيخ وكأنه من تخريجه ثم قال: "فإن قلت: لِمَ حَمَلْتَ الحكيم على أنه مُحَوَّلٌ من فاعل إلى فعيل للمبالغة،

(١) البيت من الخفيف بلا نسبة في الدر المصون ٢/ ٤٧ والبحر المحيط ٢/٤٠٨.

وهلاَّ جَعَلْتَه فعيلًا بمعنى مُفْعِل، فيكون بمعنى مُحْكِم، كما قالوا: أليم بمعنى مُؤْلِم وسميع بمعنى مُسْمِع من قولِ الشاعر:

أَمِنْ ريحانَةَ الداعي السميعُ * .... (١)

فالجوابُ أَنَّا لا نُسَلِّمُ أَنَّ فعيلًا بمعنى مُفْعِل، وقد يُؤَوَّل أليمٍ وسميع على غير مُفْعِل، ولئن سَلَّمْنَا بذلك فهو من النُّدورِ والشذوذ بحيث لا يَنْقَاسُ، بخلاف فَعيل مُحَوَّلٌ من فاعِل فإنه كثيرٌ جدًا خارجٌ عن الحصرِ كعليم، فإنَّ العربيَّ القُحَّ الباقي على سَجِيَّتِهِ لم يَفْهَمْ عن "حكيم" إلا أنه مُحَوَّلٌ من فاعل للمبالغةِ، ألا ترى أنه لَمَّا سَمِعَ قارئًا يقرأ: "والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيدَيهما جزاءً بما كَسَبَا نكالًا من الله والله غفور رحيم"(٢) أنكر أن تكونَ فاصلةُ هذا التركيبِ السابق: "والله غفور رحيم" فقيل له: التلاوةُ: "والله عزيز حكيم"، فقال: هكذا يكون: عَزَّ فحكم فقطع" فَفَهِمَ من حكيم أنه محولٌ للمبالغة السالفة من "حاكم"، وفَهْمُ هذا العربي حجةٌ قاطعةٌ بما قلناه، وهذا تخريجٌ سهل سائغٌ جدًا، يُزيل تلك التكلفاتِ والتركيباتِ العَقِدَةَ التي يُنَزَّه كتابُ الله عنها، وأمَّا على قراءة ابنِ عباس، فكذلك نقول، ولا نجعل "أنَّ الدين" معمولًا لـــ "شهد" كما زَعَمُوا وأن "إنه لا إله إلا هو" اعتراضٌ -يعني بين الحال وصاحبها وبين "شهد" ومعمولِهِ، وسيأتي إيضاحُ ذلك- بل نقولُ: معمولُ "شَهِدَ" هو "إنه" بالكسرِ على تخريجِ مَنْ خَرَّجَ أنَّ "شهد" لَمَّا كان بمعنى القولِ كُسِرَ ما بعدَه إجراءً له مُجْرَى القولِ، أو نقول "إنه" معموله وعُلِّقَتْ، و لم تَدْخُلِ اللامُ في الخبر لأنه منفيٌّ، بخلافِ أَنْ لو كان مثبتًا، فإنك تقول: "شهدت إنَّ زيدًا لمنطلقٌ" فَتُعَلَّقُ بإنَّ مع وجودِ اللام؛ لأنه لو لم تكن اللامُ لفَتَحْتَ "أنَّ" فقلت: شهدت أنَّ زيدًا منطلق، فَمَنْ قرأ بفتح "أنه" فإنه لم يَنْوِ التعليق، ومَنْ كَسَرَ فإنَّه نوى التعليقَ و لم تدْخُل اللامُ في الخبرِ لأنه منفيٌّ كما ذكرنا" انتهى.

وكان الشيخ -لَمَّا ذَكَرَ الفصلَ والاعتراضَ بين كلماتِ هذه الآيةِ- قال ما نصه:

(١) جزء بيت من الوافر في الدر المصون ٢/ ٤٨ والبحر المحيط ٤٠٩/٢.

(٢) سورة المائدة: ٣٨.

"وأما قراءةُ ابنِ عباس فَخُرِّجَ على ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ هو معمولُ شهد، ويكونُ في الكلامِ اعتراضان، أحدُهما: بين المعطوفِ عليه والمعطوفِ، وهو "إنه لا إله إلا هو"، والثاني: بين المعطوفِ والحالِ وبين المفعولِ لشَهِدَ وهو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وإذا أعْرَبنا ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ كان ذلك ثلاثةَ اعتراضات؛ فانظر إلى هذه التوجيهاتِ البعيدةِ التي لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يأتيَ بنظيرِهِنَّ من كلامِ العرب، وإنما حَمَل على ذلك العجمةُ وعدمُ الإمعانِ في تراكيب كلام العرب وحفظِ أشعارها، وكما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب أنه لن يكفيَ النحوُ وحدَه في علم الفصيح من كلام العرب، بل لا بُدَّ من الاطلاع على كلامِ العرب والتطبُّع بطبَاعها والاستكثارِ من ذلك".

قلت: ونسبتُه كلامَ أعلامِ الأمة إلى العُجْمَةِ وعَدَمِ معرفتِهم بكلام العرب وحَمْلُهم كلامَ الله على ما لا يجوز، وأنَّ هذا الوجه الذي ذكره هو تخريجُ سهل واضح غير مقبولةٍ ولا مُسَلَّمةٍ، بل المتبادرُ إلى الذهن ما نقله الناس، وتلك الاعتراضاتُ بين أثناء كلماتِ الآية الكريمة موجودٌ نظيرُها في كلامِ العرب، وكيف يَجْهل **الفارسي** والزمخشري والفراء وأضرابُهم ذلك، وكيف يتبَجَّح باطِّلاعه على ما لم يَطَّلِعْ عليه مثلُ هؤلاء، وكيف يَظُنُّ بالزمخشري أنه لا يعرِفُ مواقعَ النَّظْم وهو المُسَلَّمُ له في علم المعاني والبيان والبديع، ولا يشك أحد أنه لا بد لِمَنْ يتعرَّض إلى علم التفسير أن يعرف جملةً صالحةً من هذه العلوم، وانظر إلى ما حكى صاحب "الكشاف" في خطبته عن الجاحظ، وما ذَكَرَهُ في حقِّ الجاهل بهذه العلومِ، ولكن الشيخَ يُنْكِرُ ذلك ويَدَّعِي أنه لا يُحْتَاجُ إلى هذه العلومِ البتة، فَمِنْ ثَمَّ صدر ما ذكرته عنه).[1]

توجيه قوله تعالى: ﴿بَغْيًا﴾

قال صاحب (الدر): "قوله تعالى: ﴿بَغْيًا﴾ [2] فيه أوجهٌ، أحدُها: أنه مفعولٌ من

(١) الدر المصون: ٢/٤٦: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٩﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا =